قرأت العدد الماضي من الآداب

القصائد

بقلم الدكتور احسان عباس

مقدمـــة :

الحديث عن الشعر والنقد في هذه الايام دخول في تجربة . لست اوثر العافية فاحجم عن المشاركة في هذا الباب ، ولكني ضعيف الصوت في ميدان يملاه الضجيج . مطلوب الي ان اقول شيئا فيما احتواه هذا العدد (٦ : ١٩٥٩) من نقد وشعر . اين اجد طريقي وكيف اجدهـــا اذا كان امامي تعريفات متنوعة الشعر يضعها نقاد عارفون : محيي الدين محمد يقول :

« الشعر قلق مسجون وحلاوة منطوقة » ويقول : « فديوان الشعـر غناء قبل كل شيء والغناء نغم وعواطف » . ونازك تقول : « ان الشعر في الحالات كلها انفعال جميل ونشوة موسيقية وانصباب صور ». وتنفعل سلمى الخضرا من هذا التعريف فتقول : « الشعر توسيع المداركوترويض للخيال وارهاف للحس ، وهو فوق ذلك طرح للمشكلات تحت الاضواء». لماذا يلجأ النقاد الى فرض صور معينة محدودة على الشعر بهذه التعريفات « الشعرية » ؟ اننا في المحاولات النقدية ندرس « شعرا » ولا ندرس « الشعر » ، ونتناول « قطاعا » اسمه ديوان — او قصيدة احيانا — وقد قبلناه في نطاق الشعرقبل ان نوجد للشعر تحديدا جامعا ، وغايـــة مانستطيعه — في تواضع — ان نجد مقدار المسافة بينه وبين مااستقر في نفوسنا عن الشعر استقرارا لايقبل التحديد الكلي . فمثلا : حـين يطبق محيي الدين محمد رأيه في غنائية الشعر والحلاوة المنطوقة علـــى ديوان كامل — ابتداء — من هذه الزاوية ، أتردد في قبول رأيه ان كنت ممن لايؤمنون بنظرته هذه ، لاني قد أومن مع سلمى الخضرا ان الشعر « طرح للمشكلات تحت الاضواء » . هاهنا يكمن السر في مدى الاختلاف بين النقاد انفسهم ، فاين القيمة المشتركة التي يلتقون من حولها ، بـل اين القيمة الثابتة التي يعتصم الناقد الواحد بحبلها ؟ ان محيي الدين نفسه في « المانيفستو » الذي يحدد به مسؤلية النقاد (ص ٧٠) يعيب على النقاد انهم يرصدون العمل الفني من زاوية واحدة لان ذلك — فـي رأيه — يجعل العمل الفني تقريريا جدا ، لدرجة اننا ننسى فنيتــــه وانسانيته . ولكن اي شيء هو تناول ديوان كامل باسم الغنائية والحلاوة المنطوقـة ؟ وتأكيدا للفوضى في الراي حول مشكلة كهذه تقول سلمى : ان اي ناقد « ينتخب لنفسه منهجا معينا قد يكون ضيقا وقد يتســـع لجملة مفاهيم » وتسمح للناقد ان يختار الزاوية التي يريدها .

الناقد مظلوم — يتزيا بزي الظالمين تغطية وتقنعا — لانا ان عرفنا ما نريده منه ، كانت مطالبنا باهظة ، وان لم نعرف مانريده حاسبناه علـــى تقصيره في الكشف عن ذلك المجهول . واكبر ظلم يصيب الناقد فانمـــا يتوجه اليه من الفنان او الشاعر نفسه . ليس هذا حكما عاما وانما اثاره في نفسي قراءتي لرد ملك عبد العزيز على محيي الدين صبحي فيمـــا اخذه على قصيدتها « ذكرى جواد » . اذ يبدو من سياق ردها ان بعض البديهيات مايزال موطن اخذ ورد في عالمنا العجيب . هل يستطيـــع احد ان يصدق بان الشاعرة تعيش في واقع الحياة حين تقول في الدفاع عن قصيدتها : ان بطلها « ظل وحده خلف ربوة صغيرة يحارب الجيش الجرار » ؟ فاذا قيل لها ان هذا التصور يشبه تماما تلك الافلام الاميركية السقيمة التي تتعلق برعاة البقر قالت : ولكن هذا هو ماحدث فــي الواقع . واؤكد للشاعرة انه ان سلمنا بهذا الواقع لم نسلم بقبوله مادة للفن ، اذ ليس يصلح كل واقع ليكون كذلك ، فالواقعية الفنية هي تصوير « الامكان » نفسه وان لم يقع . مظلوم والله محيي الدين صبحي ، وموقفه مثل على مايعانيه الناقد من تحكم المنشئين والشاعرين .

النقـــد :

المقال النقدي التطبيقي الوحيد في هذا العدد هو مقال الاستـــاذ محيي الدين محمد حول ديوان « مدينة بلا قلب » للشاعر احمد عبـــد المعطي حجازي ، وهو استقراء جيد يسلك المنهج التطوري في دراســة ديوان كامل ولكن التطبيق فيه يتوجه ناحية غير التي يقولها الناقـــد في تحديد الشعر ، فهو يحدد شيئا ويدرس شيئا اخر ، ويكاد يعدم مافي مقاله من اراء صائبه حين يقول في ختامه : « والنغم والعواطف تفترض ان نكون وحيدين مع انفسنا ، وما يفعله النثر بالشعر اقرب جدا الــى ما يفعله الفهد الجائع بالظبي المسكين » وهذا رأي قد يبطل عمل النقـد ويقتلع المحاولة من جذورها . غير انا اذا استثنينا هذا التلطف المجامل وجدنا محيي الدين محمد قد اهتدى الى « العقدة » التي تتناثر من حولها قصائد الديوان ، وهي عقدة الريفي امام المدينة — لا عقدة الفرد امـــام الحضارة — الا ان الدراسة تبدو مفتعلة في بعض نواحيها ، ولعل مقدمة الاستاذ رجاء النقاش مسئولة عن هذا ، لانها حجرت الطريـق امـــام الناقد . ومن مظاهر الافتعال عجز الناقد عن ان يظهر « الخيط » التطوري في الديوان من خلال تقسيماته ،فالمرحلة الثانية قد تظهر في الرابعــة والفروق بين المراحل الثلاث الاولى غير قائمة . ومن عيوب هذه الدراسة ان الناقد رفع امام ابصارنا انموذجا وقاس عليه ديوان حجازي — رفع « الناس في بلادي » وجعله معيارا ، واذا كان لدينا شك في قيمة هــذا المعيار ، كان ذلك جورا على حجازي نفسه ، وتشكيكا لنا في قيمة ما بلغه وما أداه . كذلك فان الاستاذ محيي الدين الذي ينادي بالموضوعية فـي النقد قد اثار الريبة في هذا المقال حول « سلامة » موضوعيته فهو اذا استشهد بشيءمستحسنقال«الصديق»صلاح عبدالصبور«للصديق»تاج السر الحسن، واذا ستهجن قال مثلا: «او اذا كنتم لا تصدقون انه ضم الى مجموعة مطبوعة فارجعوا اذن الى اغاني المعركة لابراهيم شعراوي تجدوا مايسركم » او قال : « وقد رأيتم نماذج شعرية لهذا النوع ، والايام القادمة سوف

تكشف كثيرا منهم فقد سمعت ان اكثر من ديوان يعد الان في المطابع ». وانا لا انكر عليه صداقاته وعداواته ، ولا شان لي بها ، ولكني اخشى ان يكون الرجل الموضوعي متهما ،اذا انحاز الى مثل هذه « المظاهر » في التعبير عن صدق موضوعينه .

واقول : لقد قرر الاستاذ محيي الدين ان الشاعر انتهى الى مرحلة الالتزام السياسي ، وكنت افضل لو انه وجد العذر للشاعر في بعض ماشاب قصائده من خطابة او هتاف في هذه المرحلة ـ وجد له العذر في هذه الحقيقة نفسها ، فان اخر مراحل التطور عند شاعر شاب هي اولى مراحله فى طور نان من حيانه ، وهذا بجعلنا نؤمل ان يتحول عبد المعطي على اسس صحيحة ، وان يقدم لنا ـ مع الالتزام ـ شعرا كالذي يريده محيي الدين او خيرا منه .

واكثر ماتبقى من نقد فى هذا العدد من الاداب ، فانما اثارته نازك الملائكة بما كتبته من بحوث ومقالات فى اعداد سابقة . ونازك عميقة في فكرتها متانية في حوك آرائها ، غنية بمعرفتها ، ولذلك كان كثير من المادة التي حام بها الادباء حول آرائها لابعدو ان يكون تلخيصا او ترجيبا او استشكالا في الجزئيات ، فقد لخص آرائها ناجي علوش ، وكان موفقا في الكشف عن جانب من التناقض في آراء نازك، وهو تناقض اقره لانه ينبع من صميم موقفها الفني. ولخص آراءها الاستاذ عبدالرزاق البصير ليعلن في النهاية عن تردده فى قبول الشعر الحر ، وناقشها الاستاذ الحساني حسن عبد الله في امور عروضية دل بها على اطلاع جيد ولكنه ايدها في دعوتها ـ من الناحية العامة ـ الى الاهتمام بالعروض . ورحب بفكرتها الاستاذ موسى صرداوي حول « منبر النقد » .

واسهمت سلمى الخضرا بمقال في مناقشة نازك لم استطع ان اتبين فيه خلافا في الاصول بينهما ، وكل ما هنالك اختلاف في تفسير بعض المظاهر والجزئيات الصغيرة . وترى سلمى ان النقد في باب (قرات العدد الماضي) لابد من ان يوكل الى اناس مختصين ، وهذا مطلب جيد لايقوم فيه تنازع ، ولكن تحديد المختصين والعثور عليهم امر عسير (ارجو الا يكون الدكتور سهيل ادريس قد اخطأ حين وكل الي قراءة هذا العدد) (*) ولو كان هنالك نقاد مختصون ـ كما تقول ـ لصح ان نكون لكل مجلة مستشار نقدي ، بل مستشارون ، ينظرون فيما يصل اليها من شعر وقصص ومسرحيات ويرفضون منه مارفضون فيخف العبء بعد ذلك على من يكتب هذا الباب (قرات العدد الماضي) . ثم هى ترى اهمال الاثار الضعيفة . وأقول : ان الاهمال سلاح نقدي ايضا ولكن لا بد من ان يكون الناقد احيانا معلما يؤشر بالقلم الاحمر او الازرق على الاخطاء اللغوية والعروضية حين تكون القوة الشاعرية مؤاتية تبشر بخير .

ولست ارى ماتراه سلمى من ان هناك نوعين من النقد بل ان الكشف عن الاخطاء العروضية واللغوية تبيان لعجز القصيدة نفسها عن الوصول الى نفوسنا بما قام في طريقها من « معوقات » شكلية واذا كان النقد التقويمي (الذي يظهر قيمة القصيدة) ضروريا فان الكشف عن اخطاء البناء جزء لاينفصل من هذا النقد نفسه . ولنازك الحق في الاصرار على هذه الناحية والتشدد فى شانها لان التجديد في الشكل ـ وهوالمظهر اللافت فى شعرنا الحديث ـ يجب الا يكون صادرا عن جهل ، فذلك يصم كل انواع التجديد في نظر المترددين والمحافظين ويذهب المصيب بجريرة المخطىء . وقد طغى التهاون في العروض واللغة حتى عند شعراء يعدهم بعض النقاد في طليعة المجددين .

على اني اؤيد سلمى في ان لايتعرض لنقد العروض الا من يحسنه ولكني اؤكد لها اني لاأطمئن الى ناقد للشعر لايعرف فروق الايقاع . اذ كيف يمكن ان يسمى مثل هذا الناقد مختصا ـ كما تتطلب سلمى ـ وهو يجهل الاصل الموسيقي في فن عماده الموسيقى . لذلك فان من حقنا الا نضع القصيدة في يد شخص لايحسن الا قراءة مضمونها وقياسه على نظرات اجتماعية او نفسية او سياسية . وبعبارة اخرى : كل ناقد للشعر لابد من ان يدرك الشيء الكثير من أسرار النغمات العروضية ، ولكن ليس كل عروضي ناقدا . ولقد كتب الاستاذ الحساني عبد الله مقالا في هذا العدد في امور عروضية فدل على تمكن فيها ، ولكنه لم يدع لنفسه محاولة في النقد .

الشعـــر :

لو اخذت برأي سلمى في اغفال الاثار الضعيفة لتجنبت الحديث عن اكثر القصائد في هذا العدد . ولكن كلمة الحق المريرة ذات وقع كالاغفال حيانا . وساقول كلمتى في كل قصيدة على حدة بعد هذه المقدمات اليسيرة :

١ : ان القصائد ـ في هذا العدد ـ تتجه في وجهتين ـ على نحو عام ـ :

بعضها يؤمن بالبطل المنقذ ،ويعيش مترقبا له ، او يهتف باسمه ، ويجد وجوده او ضياعه بنسبة الامل فيه ، وبعضها يتجه الى تصوير الضياع الفردي ، ويتغنى بهذا الضياع ، على نحو مريض من القلق .

٢ ـ ان نقد قصيدة غالبا مايكون انطباعيا ـ في مثل هذه الاحوال ـ ولا تتيسر له الامكانات التي يجدها الناقد اذا درس نتاجا متدرجا لشاعر من الشعراء فهناك فروق كثيرة بين نقد القطعة الواحدة ونقد الاثار

(*) تتمنى رئاسة التحرير ان يتولى مراجعة الاعداد دائما امثال الدكتور عباس من النقاد والدارسين المتعمقين «الاداب»

صدر حديثا عن دار بيروت ودار صادر

ديوان ابي فراس الحمداني	٧٠٠
وراء الرغيف لغوركي	٥٠٠
عناقيد الغضب لشتاينبك	٦٠٠
الشريف الرضي للدكتور احسان عباس	٣٥٠
غلواء « شعر » لابي شبكه	٢٥٠
من صعيد الالهة «شعر» لابي شبكه	٢٠٠
العواصف لجبران خليل جبران	٢٠٠
مرداد « طبعة جديدة » لميخائيل نعيمه	٦٠٠

المتكاملة وهذا شيء غفل عنه بعض النقاد الذين تجادلوا حول النقد عامة ـ في هذا العدد ـ .

٣ ـ ان نقد القصيدة من الشعر الغنائي امر بالغ العسر منذ عهد ارسطاطاليس الذي اهمل هذا النوع من الشعر واوجد قواعد للمسرحية والملحمة فحسب ولذلك فان بعض النقاد الغربيين المعاصرين حاول ان يطبق قواعد النقد « الدرامي » على القصيدة الغنائية . وقد يبدو هذا ضربا من التعسف ولكن بعض الشعر الحديث يسمح بقسط كبير من « الروح الدرامية » غير ان المقياس الذي ينطبق على جانب واحد من الشعر ليس هو بالمقياس العام . لم يوجد بعد النقد الذي يضع للشعر الغنائي معالم وصوى يهتدي بها جمهرة النقاد ولذلك فان ما اقوله في هذه القصائد لايعدو ان يكون « ملاحظ » أثارتها تلك القصائد في نفسي ، هي اقرب الى التعليق منها الى النقد .

النجم الاخضر وقتيلة الموصل ـ لسليمان العيسى

ليس من السهل نقد هذه القصيدة لان التجرد الموضوعي ـ تحت وطأة الواقع الراهن ـ امر يشارف المستحيل . واذا اردت ان تطبق عليها مقاييس معينة من النمو والاكتمال والوحدة الشعورية .. الخ استعصت على كل ذلك . الا انها قصيدة ـ قصيدة ذات حظ كبير من القوة والخطابية والانفعال والاثارة ـ وجانب الاثارة فيها اقوى من جانب التاثير ـ . مثل هذا النوع من الشعر يحتاج نظرة نقدية مستقلة لاتستمد احكامها من النقد الغربي ، فهي كالموسيقى العربية فيها هذه الدورات المتكررة المطربة التي لا تنمو ولا تتدرج ولكنا نستعذب فيها التكرار ويهيج فينا الحزن او الفرح لدى سماعها . والموسيقى العربية تحتاج ايضا معيارا مستقلا من الحكم والنقد والتقدير .

لا مفر ـ لفدوى طوقان

تفقد التدرج وفيها انكار مفاجيء لانفتاح الامل على « ولادة جديدة » ، فيها خط منكسر ، يمتد لحظة ثم لا يلبث حتى يتنكر لنموه وينحرف الى معانقة « المحال » . صورة مرعبة من صور الحتمية التي لا تتسلل الى انفسنا بلطف وانما تفجأنا بنور ساطع من التقرير يغشي أعيننا . لاشيء يفقدنا الايمان الذاتي كهذه الخطرة التي تريد ان تفقدنا جدوى « البعث الجديد » مع ان المارد في القمقم ويونس في جوف الحوت والمصلوب على الخشبة لا يفقدون الامل في التغلب على ذلك الشيء الخفي « القابع في اعماق الذات » . هل نحب الشعر الذي يلقي بنا في هوة الانكار العدمي ؟ .

المدينة والثائر الشجاع ـ ناجي علوش

مسترسلة ، خفيفة النغم والنبضات ، تستشرف المنقذ الذي « يمتد كالعملاق من مغارة الظلام » . سلمت من الخطأ الاجتماعي سلامة جزئية حين اوجدت حركة في الجماعة مع الحركة في « الفرد الاعظم » ولكنها تردت في خطأ فني دقيق ، فهي في تصوير الانبعاث تستنيم الى وساوس المخاوف وتحس بالركود يغشيها . وهي حين تحاول ان تنقل معنى الانطلاق للنضال تقيد نفسها بالاحلام الرعوية الخاملة النمطية التي تريد ان تخلد بصاحبها الى الراحة في « ظل نخلة على الضفاف » وتتوجس خوفا من ان يفلت النوم . وتتحطم القصيدة بين « البعث » المتغلب والخوف من الانتكاس ، بين التعلق بذيول المنقذ ، والتعب الذي تراوده سنة النوم « مدينتي اود لو انام في ظل نخلة هنا » فان كانت كلمة « تتحطم » حكما جائرا عليها فقل : ان « صلب » القصيدة قد اصابه شيء من الوهي والخلل .

القصيدة العربية ـ لجورج رجي

مقطع القول فيها انها ليست قصيدة وليست عربية وهي خير مثل على انزلاق الكلمات عن مواضعها الحقيقية في ذهن الشاعر ، وخير مثل على ضخامة الموضوع وقماءة التعبير . نبرات قوية ، جلبة ، مطارق تتهاوى ، ولكنك تتساءل ـ اذا قر الضجيج ـ عن الروابط بين الالفاظ ؟ ماذا دهاها ؟ ماذا يعني صاحب هذا النظم بقوله : « وحفز كلما اوصى يجد » و « هزك في هنا الانهاض خلد » و « مجالات دنى لا لا تصدق » ... الخ

ثلاث اغنيات للضياع ـ لنسير السبول

الفكرة فيها دقيقة ـ حالة نفسية تجتمع فيها السآمة من شيء ما والرغبة فيه وعدم الاستغناء عنه ، وينسرب القلق من اعماق النفس ليؤكد الرفض والقبول معا ويحوم حول الحاجة الى النفاق في سبيل الابقاء على علاقة ما ـ او شبه علاقة ـ ولكن « الاخراج » الفني قاصر ـ وان لم استطع تعليل ذلك في هذه اللحظة ، ولعل تذكري قصيدة لنازك بعنوان « لنفترق » ، وهي عمل فني مكتمل في موضوع مشابه ، هو الذي يجعلني أرى في قصيدة تيسير مسخا هزيلا .

يابيتنا ـ لحامد حسن (في الفهرست انها لمحيي الدين محمد)

أغنية تتحشرج بكثرة الاستفهامات ، اخرها عن « الحساد » لاعلاقة له بموضوعها العام .

بلادي ـ لموسى صرداوي

مثل على بحر الرجز ، تفعيلاته سليمة .

بيروت **احسان عباس**

الى المرأة في كل مكان

« انتن نصف الانسانية الافضل . »
« على ركبكن يرتاح العالم . »

هكذا قال غاندي لنساء خرجن من ظلمات الحريم ليصبحن بفضله قادة وحكاما ووزراء وسفراء لدولة يبلغ سكانها ربع العالم .

اما خبر هذه المعجزة .. فتقرأها في كتاب :

غـاندي والمرأة

تأليف : كاميليا دريفه

قدم له : المستشرق لويس ماسينيون

الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر